



مركز الخليج للأبحاث  
المعرفة للجميع

## عرب وأعراب

قراءة في المصطلح، وبحث في التكوين



مختبر الحوار الخليجي  
Gulf Dialogue Lab

سليمان بن عبد الرحمن الذبيب  
فبراير 2024

خلق الله عزوجل أبانا "آدم"، وأمنا "حواء" من الطين، وجعلَ تناسل البشر (الإنسان) منهما، كما اختار الله لهما ولللبشر الاستقرار في كوكب الأرض أحد مخلوقاته الذي يدور في فلك فضائه؛ وإذا أخذنا في الحسبان أن جميع البشر من آدم وحواء، فلا شك أن هناك تشابهًا، بل تطابقًا في بعض الجينات؛ وأشهرها الحمض النووي منقوص الأوكسجين (DNA)، الذي يحتوي على معلومات وراثية مهمّة، فالمعلومات البيولوجية التي يحتويها الحمض النووي (DNA)، هي من تجعل كل شخص مختلفًا عن الآخر. والجين هو وحدة أساسية للوراثة في الكائن الحي، وهذه الجينات التي تُعدُّ بالمئات تأتي من الوالدين (الأب والأم)، ومن خلالها يرث الأبناء (ذكورًا وإناثًا) الخصائص الجسدية، ومنها: الأمراض والاضطرابات المختلفة من الوالدين، كما تحتوي الجينات على البيانات الضرورية لبناء الخلايا وصيانتها وتمرير المعلومات الوراثية من جيل إلى آخر.

02

هكذا يعود البشر إلى منبع وحيد، فكيف ظهر إذن الاختلاف في شقيه البيولوجي والاجتماعي بين البشر؟ فأصبح هناك بيولوجيًا: الأبيض، والأسود، والأصفر، الذين انتشروا حتى يومنا الحاضر بالمليارات، ولا شك أن أحد عوامل هذه التغييرات هي الجينات المتحوّرة، التي تذكّرنا بجينات وباء كورونا المتحوّور؛ فهذا التغيير في الجينات التي أدت إلى الاختلاف العرقيّ لاحقًا ارتبط بعدة أمور، منها: نوعية الأكل والبيئة التي يعيش فيها، فعلى سبيل المثال نوعية الحيوانات والنباتات في أفريقيا تختلف عن تلك التي في قارتي آسيا أو أوروبا، فمن خلال اختلاف أنواع المصادر النباتية والحيوانية أو البيئية، ما بين الباردة جدًّا إلى الحارة أو بينهما، إضافة إلى طبيعتها الصحراوية أو الساحلية أو الجبلية، فهذه الأمور وغيرها أدّت إلى تغيير الجينات وتحوّراتها.

أما اجتماعيًا، فقد تمثّل في: العادات والتقاليد المتنوّعة واللغات المتباعدة، وأديانٍ ما أنزل الله بها من سلطان؛ فما الأسباب والعوامل التي دفعت بالإنسان إلى خلق حدود وفواصل بين بعضهم البعض؟

## تشكلات الهوية:

لا شك أن هناك عواملَ عدّة أدّت إلى هذه الفوارق والاختلافات الجذرية، منها عاملان جعلاه يبتدع فكرة الاختلاف العرقيّ، أولهما: تنامي فكرة السيطرة والسلطة المتمثلة في قيادة الجموع والأفراد، فتطوّر الأمر إلى ظهور الزعيم، والقائد الملهم، وثانيهما: حبّ الاستحواذ والتملك، والاستيلاء على الممتلكات (الأراضي، المباني، والبشر... إلخ).

ومن هنا ظهر التمييز من خلال الانتماء إلى زعيم معيّن والتبعية له، أو الانتماء إلى الأرض (المكان). وبهذه الصورة تميّز بمرور الزمن عنهما مفهوم السلطة المركزية التي تطوّرت إلى أسلوب الدولة مهما كان نظامها السياسي، وانتماؤها إلى الموقع الجغرافي، مثل: البابلي والأكادي... إلخ.

03

وقد أدّى هذان المفهومان اللذان ارتبطا بهجرة أولاد آدم عليه السلام إلى بقاع الأرض المختلفة إلى خلق هذه الفروقات. ولهذا فإن المعايير التي قام عليها هذا الاختلاف هو الرغبة البشرية في السيطرة والاستحواذ، ولاحقًا ظهرت معايير عدّة في التفريق بين أبناء البشر، منها: اللغة، والبشرة، والديانة. أما عن السبب في هذا التباين في الألسنة والمعتقدات الاجتماعية والدينية فأعیده في الأساس إلى "البيئة"، التي أدّت دورًا واضحًا في هذه الفوارق والتباينات.

أدّى المفهومان اللذان ارتبطا بهجرة أولاد آدم عليه السلام إلى بقاع الأرض المختلفة إلى خلق هذه الفروقات. ولهذا فإن المعايير التي قام عليها هذا الاختلاف هو الرغبة البشرية في السيطرة والاستحواذ، ولاحقًا ظهرت معايير عدّة في التفريق بين أبناء البشر، منها: اللغة، والبشرة، والديانة



وهكذا ظهرت الهوية، وهي مجمل السمات التي تميّز شيئاً عن غيره، أو شخصاً عن آخر، أو مجموعة عن غيرها، وهي هوية فردية وجماعية (أنا، الأسرة الصغيرة، العائلة، العشيرة، القبيلة، الشعب، الأمة)، مصداقاً لقوله عزوجل في محكم كتابه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: 13).

وفي ظنيّ كي نفهم كيف تطوّرت الهوية التي اعتمد عليها التباين الذي ذكرناه أعلاه، يفترض بنا أن نعرف ولو باختصار المراحل التي مرّ بها أحفاد أبينا آدم عليه السلام، وهذه الأحداث والتغيّرات لا أرى حدوثها في فترة "آدم وحواء" عليهما السلام، بل تاليةً لهما. ويمكننا تقسيمها في ضوء الدراسات العلمية الحديثة إلى عصرين رئيسين، هما

- عصر ما قبل التاريخ والذي يعرف أيضاً بمصطلح العصور الحجرية، وكانت بداية تعرّف الإنسان على هذه العصور وتفرعاتها - كما قال المؤرخ جواد علي - في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وتحديدًا في عام 1833م، بواسطة الفرنسي "تورنال"، أمين عام متحف "ناربون"، وبعد عقدين من الزمن وجد هذا الاصطلاح طريقه إلى القبول والتأييد من البريطانيين، حين استخدمه البريطاني "دانيال ولسون" عام 1851م. واستمر هذا الوضع حتى عام 1865م عندما لاحظ البريطاني "جون لويك" التباين الواضح في حجم وشكل تقنية الأدوات الحجرية التي تعود إلى ذلك العصر، فاقترح تقسيمه إلى عصرين، هما: الحجري القديم، والحجري الحديث.

وعلى الرغم من صحة ما فكّر فيه واقترحه هذا البريطاني، إلا أن عثور الباحثين على أدوات حجرية تبدو من خلال تقنيّتها وأحجامها وأشكالها سابقة على أدوات العصر الحجري المصنّف بالحديث، ولاحقة لتقنيات أدوات العصر المصنّف بالحجري القديم، قد دفع الإسكندنافي "هودر فستروب" عام 1872م إلى اقتراح عصر حضاريّ يأتي قبل العصر الحديث وبعد القديم، أسماه العصر الحجري الوسيط.

- واستمرّ هذا العصر حتى اكتشاف الإنسان القديم للكتابة، وذلك في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد على يد السومريين جنوب بلاد الرافدين، وكذلك المصريين في وادي النيل، حوالي عام 3200 ق.م. ليبدأ معه العصر التاريخي.

وهكذا فقد عاش الإنسان فترة قصيرة من عمره في الأرض خلال العصر التاريخي الذي لا يزيد إلا قليلاً عن خمسة آلاف سنة، وتحديدًا من عام 3200 - 3100 ق. م. وصولاً إلى حياتنا المعاصرة؛ في حين عاش في العصور الحجرية مدة تصل إلى ثلاثة ملايين سنة، مرّ فيها الإنسان بمراحل عدّة يصل بعضها آلاف السنين، وهي التي حدثت فيها مختلف التغيرات البيولوجية والاجتماعية، فعاش الإنسان في فترة العصر الحجري المتعدّد الفترات مدّة تصل إلى ملايين السنين، وهي مدة كافية لحدوث هذه التغيّرات.

### تطور الإنسان عبر العصور:

حيث يمتد العصر الحجري الوسيط من الألف العاشر قبل الميلاد وحتى بداية العصر الحجري الحديث، الذي يبدأ بدوره من الألف الثامن تقريبًا إلى الرابع قبل الميلاد، ويمثل العصر الحجري القديم تقريبًا "95%" من عمر الإنسان على الأرض، تصل فترته إلى ما يزيد على المليونين ونصف من السنين.

يمتد العصر الحجري الوسيط من الألف العاشر قبل الميلاد وحتى بداية العصر الحجري الحديث، الذي يبدأ بدوره من الألف الثامن تقريبًا إلى الرابع قبل الميلاد، ويمثل العصر الحجري القديم تقريبًا "95%" من عمر الإنسان على الأرض.



وعلى الرغم من هذه الفترة الزمنية الطويلة فمن الملاحظ أن التقدم والتطوّر التقني في هذا العصر كان بطيئًا جدًّا، فهو أقل بكثير في سرعة تطوّره من سير السلحفاة؛ لكن تزايد الاكتشافات الأثرية في مختلف بقاع العالم، جعل بعض المتعاملين مع هذه النوعية من الأدوات يلاحظون اختلافاتٍ تقنيةً وتباينًا بينها. وهو اختلاف وتباين دفع الفرنسيين "لارتيه"، و"مورتيل"، و"كرستي" إلى تقسيم العصر الحجري القديم إلى ثلاث حقب، هي:

## دراسة ثقافية

العصر الحجري القديم الأسفل، والقديم الأوسط، والقديم الأعلى (جواد علي، 2000م، ص73).

أما العصر الحجري القديم الأسفل فبدأ منذ نحو ثلاثة ملايين سنة، وانتهى قبل 120.000 سنة من الوقت الحاضر، ليبدأ العصر الحجري القديم الأوسط، الذي انتهى في نحو 35000 من الوقت الحاضر. ثم يبدأ العصر الحجري القديم الأعلى، ويستمر حتى نهاية العصر الجليدي نحو عشرة آلاف سنة قبل الميلاد.

وقد لقي هذا التقسيم كغيره من الاقتراحات الأخرى القبول والتأييد، بل والتبني من غالبية المهتمين والمختصين، مع ملاحظة أن بداية هذه العصور ونهايتها تتفاوت من منطقة إلى أخرى.

وفي الوقت الذي كان المهتمون بالإرث الحضاري والمادي للإنسان القديم، يجرون دراساتهم



وأبحاثهم المضمنة حتى توصلوا إلى الاقتراحات التي ذكرناها أعلاه، فقد كان هناك علماء وباحثون يدرسون المسرح الذي ترك الممثل (الإنسان) فيه أدواته، وهي الأرض وما جرى عليها من تغييرات جيولوجية وبيئية خلال هذه الفترة الزمنية، حيث توصلوا نتيجةً لهذه الدراسات إلى تسمية عصرين مهمين: أولهما، عصر البلايستوسين (Pleistocene) أو العصر الجليدي، ويمتدّ من حوالي مليونين ونصف حتى الألف العاشر قبل الميلاد. وهكذا فهو يماثل حضاريًا أنشطة الإنسان فيما عرّفناه بالعصرين الحجريين القديم والأوسط؛ ثانيهما: هو عصر الهولوسين (العصر المطير، Holocene)، الذي يبدأ من حوالي الألف

العاشر قبل الميلاد، أي أنه يتوافق مع بداية العصر الحجري الحديث.

وهكذا اتفق الجيولوجيون وعلماء الإرث الحضاري (المؤرخون والآثاريون) على تزامن التغييرات الجيولوجية والبيئية في الأرض (المسرح) مع أنشطة الإنسان (الممثل). فقد وجد أن هناك علاقة ارتباط واضحة بين الفترات المطيرة المتتابة في عصر البلايستوسين وبين المواقع الأثرية، خصوصاً قرب مصاطب الأنهار وأحواضها وفي المغارات والكهوف.

هذا ما كان عن أبحاث العلماء حول أنشطة الممثل (الإنسان) وأبحاثهم عن مسرحه (الأرض)، فماذا قالوا عن الإنسان (الممثل) نفسه؛ والإجابة عن هذا السؤال جاءت من علماء وباحثين تركّزت دراساتهم وأبحاثهم على التطور الفسيولوجي للإنسان، ونشروا كثيراً من الآراء والنظريات عن الأشكال والأنواع الأدمية، التي تعود لملايين السنين، وسأتوقف عند تعريفات ثلاثة للإنسان، هي:

• أولاً/ الإنسان المنتصب القامة (هومو إركتوس Homoerectus) وقد ظهر على وجه البسيطة قبل حوالي المليون ونصف المليون سنة قبل الآن، حيث عُثر على عظامه في حوض نهر سولو بجزيرة جاوا الإندونيسية. وهو الإنسان الذي اهتدى إلى الأكواخ البسيطة، وعرف النار مبكراً، في حين كانت ملابسه من أوراق الشجر والنبات وجلود الحيوانات (محيسن، 2003-2004م، ص 42-43). ويعتقد أن صناعته لأدواته وأسلحته كانت أكثر فعالية مثل الفؤوس اليدوية بتقنية جديدة والتي اعتمدت على زيادة مساحة التشطيف، حتى صارت النواة تُشطّف وتسوّى من الجهتين (الصويان، 1991م، ص 12). وأهم ما يعود إلى هذا الإنسان هو توصله إلى تكوين الأسرة التي تعتمد على الأب والأم، والأولاد.

• ثانياً/ إنسان النياتدرتال (Neanderthal) والذي يعود ظهوره على ظهر البسيطة قبل حوالي 200.000 ألف سنة ق. م. (محيسن، 2003-2004م، ص 44). وله يعود الفضل في إتقان صناعة الجلود ودباغتها وارتدائها، وتطويره استخدام النار عن طريق الحكّ والقدح، بل إنه طوّر صناعاته الحجرية، فصنع السكاكين، والمقاحف، والمخارز، لكن أبرز ما يميّزه عن الإنسان السابق ممارسته للمعتقدات الدينية، ومواراته لموتاه في التراب أحياناً مع أسلحته وأطعمته التي يستعين بها المتوفّي (الصويان، 1991م، ص 12).

• ويؤكد حقيقة أن الإنسان لم يعرف دفن موتاه منذ بداية ظهوره على الأرض قول الله تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} (المائدة: 31)، فتدل هذه الآية على أن الإنسان قبل حادثة هابيل وقابيل لم يكن يعرف الدفن ومواراة موتاه.

• ثالثا/ الإنسان العاقل (Homo sapiens) الذي ظهر على الأرض في حوالي 40.000 أو 30.000 سنة ق. م (محيسن، 2003-2004 م، ص 48). وقد عُثر على عظامه في فرنسا، وحدث في فترته تطوّر كبير في جميع مناحي الحياة، سواء الفكرية والحضارية أو الفسيولوجية. وأجد في تسميته بـ"هوموسابينس" قبولا لكوني لا أرى للتعريفات والتصنيفات الأخرى مثل: الأسترالوبيثيك (Australopithecus) والهوموهايبل (Homo habilis)، أساسا علميا مقبولا، إذ إن الأدلة والاستشهادات الدالة على النوعين الأخيرين قليلة جدا، بحيث لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، وجميعها جاء من أفريقيا؛ ولنضرب مثالا بسيطا قد يكون مفندا لمثل هذه التعريفات، فلو قدّر مثالا لعائلة ما أن تمضي وقتا معينا، ولنقل عطلة صيفية، في غابة أو صحراء، وفي أثناء هذه العطلة فقد وليدها البالغ من العمر أقل من ثلاث سنوات، ثم أخذه نوع من الحيوانات، كقصة ذلك الطفل الهندي الذي عاش فترة من الزمن مع الذئاب، أو قبيلة ذات مفاهيم ثقافية واجتماعية معينة، فسوف نرى أن هذا الطفل قد اكتسب عاداته وتقاليده ومفاهيمه، بل حتى فسيولوجيته من هذه البيئة التي عاش فيها، فطريقة مشيه وأكله ونومه، بل مستوى ذكائه ... إلخ، هي مثل مشيتهم وأكلهم ونومهم ومستوى ذكائهم. لذا نرى في ضوء الأدلة التي بين أيدينا، أن تطورا جرى للإنسان حتى وصل إلى هيئته الحالية يحتاج إلى أدلة أكثر صلابة وإقناعا، لكنّها غيرت من جيناتها فتطوّرت وتحورت من منطقة إلى أخرى.



ومع أن بعضهم قد يشكك، أو لنقل يتردد في قبول نتائج دراسات المتعاملين مع العصر الحجري القديم وأبحاثهم، وبالتحديد في أمرين: المدة الزمنية الطويلة لهذه العصور التي تصل إلى أكثر من مليوني سنة، والتقسيمات التي كانت معتمدة على التباين والاختلاف في تقنية الصناعات الحجرية؛ إلا أننا عندما نربط بين أمر الله سبحانه وتعالى، رحمة منه، لأبينا آدم وأمنا حواء بالخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض بسبب انقيادهما لإغواء إبليس -لعنه الله- لهما بالأكل من الشجرة فيقول جلّ وعلا: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} (البقرة: 36)؛ نجد أن الخالق سبحانه وتعالى قدّم للإنسان الأرض ببيئتها وتضاريسها وتغيّراتها الجوية، ليمارس فيها العبادة والإعمار، وكانت الأرض، بحجمها الذي نعرفه، تحت تصرف شخصين فقط، (آدم وحواء)؛ ومن خلال تزواج أبنائهما الذكور بناتهما الإناث واقترانهم بدأ التزايد البشري، ولنا أن نتصوّر كم أخذ هذا النمط من زمن، حتى انتشرت البشرية في مختلف أنحاء المعمورة.

### المدى الزمني للنمو البشري:

لو افترضنا أن أمنا حواء كانت تحمل في البطن الواحد سبعة بين إناث وذكور، فالأمر يحتاج إلى خمسة عشر عامًا للذكر حتى يبدأ بالاقتران بواحدة من أخواته. وهكذا فإن الأمر يحتاج إلى مئات الآلاف من السنين حتى تمكن الإنسان من الانتشار في المعمورة. ونحن المسلمون نختلف مع التوجيه الديني اليهودي، الذي يحدّد بدء البشرية من الألف الرابع قبل الميلاد، بمعنى أنهم يلغون تمامًا فترة العصر الحجري القديم بأقسامه المختلفة، والتي هي في تصوّرنا الفترة التي عاشها أبونا آدم ثم أولاده وأحفاده.

وللتدليل على صحة دراسات الباحثين في العصر الحجري القديم في بقاء التطور التقني والفكري للإنسان، نضرب مثالاً من القرآن الكريم، وهو قصة نوح (عليه السلام) الذي أمضى في دعوته للإيمان بالله وعبادته على الوجه الصحيح مدةً تزيد على تسعمئة سنة، فيقول سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت، الآية 14: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} ونلاحظ من هذه الآية أمرين مهمين: أولهما: استمرار الغالبية في غيهم وطغيانهم، فلم يؤمن بدعوة نوح عليه

حادثة الطوفان الواردة في القرآن الكريم، تتفق مع ما جاء في الكتابات والأساطير الراقدية القديمة عن الطوفان الذي حدث في بلاد الرافدين، والذي لا بد أنه كان قريبًا من الفترة التاريخية، وهي الألف الرابع قبل الميلاد.



السلام إلا عددًا محدودًا من البشر، وثانيتها: عدم ظهور دليل على زيادة بشرية ملحوظة خلال التسعمئة سنة هذه.

والرأي أن عهد نوح عليه السلام يعود إلى فترة متأخرة في العصر الحجري القديم الأوسط (17.000-10.000 سنة ق. م)، أو بداية العصر الحجري الحديث، وتحديدًا في الألفين العاشر والتاسع قبل الميلاد، لأن حادثة الطوفان الواردة في القرآن الكريم، في الآية المذكورة أعلاه، تتفق مع ما جاء في الكتابات والأساطير الراقدية القديمة عن الطوفان الذي حدث في بلاد الرافدين، والذي لا بد أنه كان قريبًا من الفترة التاريخية، وهي الألف الرابع قبل الميلاد.

### أثر وتأثير الطوفان:

إضافة إلى أننا نعتقد أن طوفان نوح عليه السلام كان نقطة تحوّل رئيسة في كلّ شيء في المسرح (الأرض)، والممثل (الإنسان)، وأدوات الإنسان (الإعمار)، فأسرعت وتيرة التطور، وتفاعل الإنسان مع بيئته ومحيطه تفاعلًا واضحًا، وانتشر أولاد نوح عليه السلام وذريته في مختلف أنحاء المعمورة، فذهب حام إلى أفريقيا، ويافث إلى شرق آسيا؛ في حين فضلّ سام البقاء مع والده نوح في الشرق الأدنى.

ولاتفاق ذكر الأساطير الراقدية والحمورية والحثية، بل حتى الهندية، على الطوفان؛ فإننا نفهم من الآية 14 في سورة العنكبوت، والآية 133 من سورة الأعراف التي تتحدّث عن قوم

فرعون ونصها: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ}، أن هناك نوعين من العقوبات، ومنها الطوفان العام، وهو الذي حدث في عهد نوح عليه السلام، والطوفان الخاص الذي يصيب أمةً مجرمةً على نحو ما حدث لقوم فرعون، أو العقوبات الخاصة الأخرى التي أرسلها الله لقوم لوط وقوم ثمود ... إلخ

وهكذا ظهر الإنسان ومارس بما منحه الله من عقل إعمار الأرض لمصلحته الذاتية، فتعددت اللغات والأعراق والبيئات، وعضباً عن أن تكون الأرض كلها أرضه، ضيق على نفسه فوزعها بالأنظمة التي ابتدعها على أساس: الدين، واللغة، والعرق، والأخير تطوّر بسبب تحوُّرات جينية. وبسبب ذلك زادت رقعة الاختلاف بين بني البشر وتفتتت عرى الترابط؛ فتعددت الشعوب والقبائل وتنوّعت، وأصبحت المفاهيم الاجتماعية مختلفة، فما هو مألوف عند بعضهم أصبح مذمومًا عند بعضهم الآخرين.

### البدايات الأولى للعرب الساميين:



ومن هذه الشعوب التي ظهرت بعد "الطوفان" الشعب العربي الذي يمتاز بارتباطه بأقرب أبناء نوح إليه "سام"، الذي فضّل البقاء مع والده ومرافقته؛ مما أدّى كما نرى إلى عدّة أمور إيجابية لا تخفى على أحد، أهمها الوسطية في كل شيء، والفسولوجية الاجتماعية.. إلخ؛ لذلك كرّمه الله باستخدام لغته العربية لكتابه القرآن، واختار آخر أنبيائه منهم، وجعل بيته العتيق في أرضهم، وكل ذلك بسبب الوسطية.

فالمكان الذي اختاره هذا الشعب مستقرًا وموطنًا له هي أرض محاطة بالبحار من جهاتها الشرقية والغربية والجنوبية، وتُعدُّ أكبر شبه جزيرة في العالم عُرفت باسم: "شبه الجزيرة العربية" أو "جزيرة العرب" أو "جزيرة محمد" بمساحة بلغت "3,237,500 كم<sup>2</sup>"، تميّزت بتضاريسها المتنوعة: صحاري وسهول وأودية وجبال وغابات، متّعها الله بجمال مختلف من جبال سوداء في الجنوب تغطيها الأشجار، إلى جبال رملية ذات أشكال جاذبة رائعة في الشمال الغربي، وأخرى تميل إلى السواد الخفيف، مثل جبل طويق الذي يقطع منطقة وسط الجزيرة من شمالها إلى جنوبها، إلى أودية ضخمة تشقّ صحاريها وجبالها وسهولها إلى صحاري رملية جاذبة غنية بمعادنها وحيواناتها البرية وواحاتها إلى سهول زراعية.

وهذا التنوع الفسيفسائي في البيئة والطبيعة عكس التعدّد الثقافي والتنوع الاجتماعي، فمع أن القبائل التي استقرت في هذه الجزيرة هي عربية خالصة، إلا أن البيئة أضافت إلى ساكنيها صفاتها وميزاتها، فامتاز سكان الصحراء بصفاتها وسكان الجبال أيضًا بصفاتها.. إلخ. وهكذا أنعم الله على هذه الأرض بالتنوع البيئي والثقافي الذي انعكس على أخلاقيات ساكنيها "العرب"

ومع هذا العمق التاريخي والحضاري الذي قدّمته شعوب هذه الجزيرة إلا أن بعضهم حاول ويحاول فكّ الارتباط بين قبائلها وشعوبها المعروفة بالسامية (العربية القديمة) والعلاقة بينها؛ فتعرّضت جزيرة العرب منذ أزمان موعلة في القدم إلى محاولات تشويه، لأسباب عدّة، فعلى سبيل التمثيل وصَفَتِ الحولياتُ الآشوريةُ القبائلَ العربيةَ الثمودية: بأنها قبائل تعيش في شظفٍ من العيش في الصحراء، "قبائل ثمود.. هم عرب بعيدون يسكنون الصحراء ولا يعرفون حكمًا".

واستمّرت وجهة النظر هذه على مدى الأزمنة اللاحقة، وحتى يومنا الحاضر، فكانت نظرة يشوبها بوضوح التقزيم والتقليل من إمكانيات العرب الحضارية والثقافية.

والمثير، بل المدهش أن هذه النظرة غير الواقعية والمنافية للحقيقة تصدر من أقوام، بل قبائل هاجرت من هذه الجزيرة، وانتشرت في أرجاء المعمورة حاملة لواء التغيير والهيمنة في تلك المناطق، مثل القبائل: الأكادية، والبابلية، والكلدانية، والأمورية، والآرامية، وغيرها، ممن شاءت الظروف والأقدار أن يتركوا موطنهم "شبه الجزيرة العربية"؛ بمعنى آخر أن هؤلاء على أقل تقدير يشتركون مع من عُرفوا لاحقًا بالعرب في الأرض والعرق.

## سمات عرب شبه الجزيرة:

فيا ترى ما سبب تغيّر عقل العربي الأكادي أو العربي الآشوري نحو أبناء عمومته أو إخوته في الدم والفكر والمنهج؟ أو لنقل ما الهدف من وراء تكرار هذه الأقوال؟

وللإجابة عن هذا التساؤل لن أخذ ما يقوله العرب عن أنفسهم، أو يقوله أحد أصدقائهم، بل سأستند على قول ديودورس الصقلي وهو مؤرخ يوناني عاش في القرن الأول قبل الميلاد، حيث وصف العرب، قاطني هذه الأرض (المناطق الصحراوية)، بقوله: ".. ظلُّوا دائماً خارج دائرة الاستعباد، بل والأكثر من ذلك أنه لم يحدث في أيِّ زمنٍ أن قبلوا رجلاً من بلد آخر ليتولّى حكمهم، واستمرُّوا في الحفاظ على حريّتهم دون مساسٍ؛ وبناءً على ذلك لم يتمكّن الآشوريُّون، ولا ملوك الميديين، ولا الفرس، ولا حتّى حكام المقدونيين، أن يستعبدوهم" (الصقلي، 2017م، 58).

ولعلّ ما ذكرته المصادر الكلاسيكية من أن السبب الرئيس وراء غزو الإسكندر جزيّرتهم أنّهم الشعب الوحيد الذي لم يأت لتهنئته بسقوط "بابل"، فوجد الإسكندر ورجاله هذا التصرف غير مقبول، فكان أن قرر الاستيلاء عليها.



إن "الصقلي" وغيره من الكُتّاب الكلاسيكيين، لخصّوا السبب الرئيس لهذه النظرة، فهي ليست من باب التندُّر أو وصفاً حقيقياً للشعب، بل سعيًا منهم لتجنّب العرب واتقاء لشُرهم. وهكذا فموقف القبائل والشعوب العربية القديمة (السامية) تتلخص في: من يعرف قدراتك وإمكانيات أكثر من أبناء عمومتك وأخوتك، فما يعرفه هؤلاء عن شخصية "العربي" جعلتهم يستमितون في الحفاظ على مكتسباتهم عن طريق منع وصول

ابن عمهم "العربي" الصافي الذهن إلى مناطقهم، ومن ثم تحقيق ما يمتاز به هذا العربي وهو "السيطرة السياسية"، وأحياناً كثيرة الثقافية.

وجزيرة العرب الغامضة والموحشة بصحرائها وجبالها، لغيرهم، مثل: اليونانيين والرومان، هي عظمة برجالها وأهلها، فالتاريخ يشهد أن ما من قبيلة أو قبائل خرجت منها إلا سادت في الأرض التي استوطنتها، وهو ما نجده من الأكاديين ومن تبعهم من الآشوريين والبابليين وغيرهم في العراق، ونجده أيضاً في الأموريين، والفينيقيين، والآراميين، وغيرهم في سوريا الكبرى، والهكسوس في مصر (إذا صح أنهم ساميون)، انتهاءً بالقبائل العربية التي هاجرت مع ظهور الإسلام، أو تلك التي جاءت بعد تدهور أوضاع الخلافة العثمانية؛ فالجميع من خلال التجربة يعلم مقدرة هؤلاء، لا على التكيف مع المجتمعات الأصلية فقط، بل على فرض أجندتهم ووجودهم؛ لذلك فضّلت هذه الأمم ترك شبه الجزيرة العربية في حالها.

### ابتداء تسمية العرب:

لكن متى نُعت ساكن هذه الأرض باسم "عربي"؛ لعل الأدلة التي بيننا تعيد أقدم ذكر لهذا الاسم إلى القرن التاسع قبل الميلاد في مصادر الإمبراطورية الآشورية التي كان لها صولات وجولات عدّة مع عرب الجزيرة أو عرب سوريا (الآراميون وغيرهم)، وجاءت هذه الإشارة في إحدى الوثائق الآشورية التي ترجع إلى الملك الآشوري "شلمنصر الثالث" في معرض حديثه عن غزواته في سوريا.

ومنها بدأ الاسم يظهر في هذه المصادر التي تعتمد الدقة كثيراً؛ فبعد ذكر جنديبو الملك العربي، ورد الاسم بصيغ مختلفة (Arabu, Aribi, Urbi)، ومنها وثائق الملك "تيجلات بلاسر الثالث" (727-744 قبل الميلاد)، الذي قام بحملات ضدّ سوريا وفلسطين، وغيرهما.

كما ورد الاسم في الكتابات المسمارية الإخمينية، في عهد: قورش، وقمبيز، فقد غزا الأخير مصر عام 525 ق.م، ويظهر أن الحكم الإخميني الذي نال تقديراً خاصاً من الأنبياء الإسرائيليين، كان مرحّباً به من العامة، فاعتبر بعض من الباحثين الإمبراطورية الإخمينية إحدى أطول المراحل التاريخية وأكثرها رخاءً في تاريخ المنطقة.

وجاءت الإشارة إليهم عند الأخير في معرض استعداداته لغزو مصر، “.. وقد أشار فانيس.. على قمبيز أن يرسل إلى ملك العرب، ويطلب إذنًا منه للمرور الآمن بامتداد الساحل من فلسطين على مصر”؛ ولذلك أرسل قمبيز سفراء إلى ملك العرب وطلب منه الأذن بالمرور بسلام وحصل عليه وأعطاه ميثاقًا“.

وتردّدت أيضًا كلمة “أرابيا” (Arabia) في تاريخ “هيرودوت” الذي كتبه في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وأصبح هذا الاسم معروفًا بعد ذلك لجميع كتاب اليونان الذين جاءوا بعده. ولكنهم لم يقصدوا به بلاد العرب بحدودها الجغرافية الحالية، بل كانوا يقصدون شبه الجزيرة العربية، وشبه جزيرة سيناء، وصحراء مصر الشرقية، وأحيانًا جزءًا من شرقيّ الدلتا، مثل المصريين القدماء.

وكذلك في مصادر العهد القديم التي تعود إلى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد! في إشارته إلى “العربان”، الذين قدموا هدايا إلى يهو شافاط (7700 من الكباش، ومثلها من التيوس)

### دلالة لفظة عرب:

واللافت على الأقل ليّ أن “ع رب” المكان والشعب انحصرت في فهم تلك الشعوب فقط في شمال شبه الجزيرة العربية وشمالها الغربي، فشمّل الموقع الجغرافي الآتي: شمال الجزيرة العربية ما بين مصر وسوريا، والعرب الذين نجدهم في جبال لبنان الشرقية إبان حملة الإسكندر على المنطقة وفي وسط الجزيرة وشرقها لاحقًا، ومنطقة نجران.

ولم يكن هذا الفهم عند ممالك بلاد الرافدين في الشمال، بل كذلك عند ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية الذين ذكروا العرب في “40” نقشًا كلها تعود إلى الفترة المسيحية المبكرة (القرن الأول الميلادي) إلا نقشًا واحدًا، هو نقش “كرب إيل وتر” (السابع إلى الخامس قبل الميلاد). وتعكس هذه النقوش أن موطنهم في منطقة شمال اليمن الحالية بين نجران والجوف.

وأخيرًا نشير هنا إلى أن العرب أهملوا كثيرًا الحديث عن أنفسهم، فبخلاف نقش النمارة المتأخر في القرن الرابع الميلادي، الذي سجل وفاة "امرؤ القيس، ملك جميع العرب"، أو النقوش الحضرية والتي تعود إلى ما بعد الميلاد، لم نثر على ما يشير إلى أن العرب استخدموا هذا الاسم لتمييز أنفسهم.

ومما زاد من الغموض في هذا الأمر الدراسات الإسلامية المتأخرة التي تناولت هذا الشأن، وبدأها "ابن إسحاق"، المتوفى سنة 767م، فقد فرّقوا بين العرب العاربة (أهل الجنوب، والشرق، وهم العرب الأصليون)، والعرب المستعربة (أهل الشمال). كما فرّقوا أيضًا بين "العرب" و"الأعراب"

فأولهما اسم عام للسكان ولغتهم، ولكنه يحمل في ثناياه الإشارة إلى السكان المستقرين في القرى، والذين هذّبت المدنية من سلوكياتهم. أما "الأعراب" فكانوا يحيون حياة التنقل والترحال، وكان فيهم بحكم نشأتهم جفاءً وقسوةً.

وبعيدًا عن الدخول في مناقشات سفسطائية أو فلسفية عن العرب العرق أو الموطن، فإننا نرى أن العامل الحقيقي الذي سيحفظ، بل حفظ حقيقتهم، هي أن هويتهم تكمن



في لغتهم "العربية"، فهي المعيار، بل الشاهد على عروبة القبائل المسماة اليوم بالسامية (نسبة إلى سام بن نوح)، فهذه الأمة التي كرمها الله عزّ وجلّ فاختر آخر أنبيائه منها، واختر لغتهم، لكتابه "القرآن"، لها خصوصيتها. فاللغة التي تتعرّض اليوم إلى موقف مهين من أبنائها هي الهوية. ويمكننا إعادة الروح لهذه الأمة عن طريق الحفاظ على اللغة وما تفرّع منها من لهجات ولغات.

وتعرضت لفظة "ع رب" التي ظهرت بوضوح في القرن التاسع/ الثامن قبل الميلاد، لتفسيرات عدّة، فقد اعتبر بعضهم أنها تشير إلى ساكن الصحراء "البدوي المرتحل" أو مربّي الجمال (EphCal, 1982, pp. 9-12)؛ ولعلنا نشير هنا إلى أن "أفعل" يرى أنها تعني ساكن الصحراء في الفترة الآشورية، بمعنى أن مفهومها تطوّر لاحقًا.

والمثير أن لفظة "ع رب" تشير إلى ساكن الصحراء، فهي حتمًا عندهم آنذاك تفرّق بين العربي ساكن الصحراء، وذلك الذي يسكن المدن، مثل الدادانيين الذين عرفوا النظام السياسي منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد على أقل تقدير، فالنقوش الآشورية لم تُعرّف هؤلاء بالعرب، بل عرفتهم باسم الدادانيين.

لا نستبعد أن الآشوريين أخذوا الاسم "ع رب" من العرب أنفسهم، فالعرب هم من أطلق اسم "العرب" على أنفسهم، الذي كان شفهيًا في بدايات الألف الأول قبل الميلاد، ومكتوبًا في القرون الميلادية الأولى، عندما استخدمها ملوك "الحضر".



لكن ماذا قصّد الآشوري من استخدامه لهذه اللفظة؟ إذا أخذنا في الحسبان أنه أطلق الاسم نفسه على قبائل أو مجموعات بشرية في المنطقة المحاذية بين فارس والعراق (رتسو، 2016م، ص 206)، في نقش من حوليات الملك الآشوري سرجون (722-705 ق.م)، أي بعد أكثر من "100" عام من استخدامها من الآشوريين؟! وهؤلاء ليسوا سكان صحاري، لكنهم يشتركون مع عرب الشمال بالرعي، أو يتشابهون معهم بصفة البداوة.

وإذا كانت قراءة هذا النقش مؤكّدة فهي حتمًا تجعلنا نعيد النظر في المعنى المتداول عند بعضهم من أن "ع رب" تعني في لغات العراق القديمة "الغرب"، وهو ما يجعل المعنى مرجحًا، أما "الرعاة" وتحديدًا رعي الإبل المعروف عند قبائل شرق بلاد الرافدين (آسيا)، أو البدو الرحّل الذين من سماتهم الاستقرار المؤقت وفهم معيّن للحضارة المعاصرة آنذاك

وفق ما تؤكد المصادر المعاصرة لعرب شبه الجزيرة العربية التي تعكس معرفتهم بالأوضاع الحضارية المتعددة، ومنها الجانب السياسي، فوعيمهم بما يدور حولهم سياسيًا يعكس فهمًا حضاريًا معينًا، وكذلك ارتباطًا يناسب مفاهيمهم (التركي، 2011م، ص 34-35).

ولا نستبعد أن الأشوريين أخذوا الاسم "عرب" من العرب أنفسهم، فالعرب هم من أطلق اسم "العرب" على أنفسهم، الذي كان شفهياً في بدايات الألف الأول قبل الميلاد، ومكتوباً في القرون الميلادية الأولى، عندما استخدمها ملوك "الحضر"، فلدينا حتى الآن أكثر من أربعمئة نقش حضري، منها "21" نقشاً ورد فيها "العرب" (رتسو، 2016م، ص 631)، مثل: (ن ط روق - م ل ك ا - د ع رب)، أي "نطروق ملك العرب".

وهنا يأتي السؤال: ماذا قصد العرب بإطلاق اسم "عرب"، فهي لفظة تعني معاني عدّة ومختلفة ومتناقضة، من بينها قول الفحش إلى القول الفصيح الصافي. ولا شك أنهم اختاروا لأنفسهم المعنى الصحيح، وهو "الفصاحة والبيان".

### دلالة لفظة أعراب:

في جانب آخر فقد أخذت المفردات في التطور حتى زادت من غموض المعنى في فترات تاريخية مختلفة ومتفاوتة، فمن (عرب) انشق الاسم "أعراب" الذي ورد في النقوش العربية الجنوبية "المسند"، والذي لم ينل في الفترة الإسلامية احتراماً وتقديراً، فقد ورد في القرآن الكريم آيات ذمّت بعض الأعراب واتهمتهم بالنفاق في قوله جل وعلا: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، وكذلك قوله تعالى: "سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۗ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۗ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}، وقوله جل وعلا في سورة التوبة: {الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا}. والآية الأولى نزلت في قوم من بوادي العرب قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة طمعاً في الصدقات لا رغبة في الإسلام فسامهم الله تعالى الأعراب. كما هناك أحاديث عدة نختار منها هذا الحديث الذي أورده مسلم: "عن أنس رضي الله عنه، قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه رداء نجراني غليظ

الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه (جذبه) بردائه جبذة شديدة، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُرّلي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحك ثم أمر له بعطاء".

هذا الأمر جعل المفسرين يفرّقون بين الأعراب والعرب، فالأول يقرب كثيرًا من لفظ "بدو" والثاني قُصد به ساكنو المدن والحواضر من العرب، مما دفع اللغويين إلى اعتبار الأعرابي بالألف هو من نزل البادية أو جاور البادو وظعن بظعنهم وانتوى بانتوائهم فهم "أعراب"؛ أما من نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى فهم عرب.

### الجاهلية والأمية تقارب وافتراق:

ومن الملفت ارتباط مصطلحي "الجاهلية" و"الأمية" بعرب شبه الجزيرة العربية في الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى السابع الميلادي (500-700م)، التي كانت في العموم فترة ظلامية للعرب، خصوصًا وسط شبه الجزيرة وشمالها؛ فابتعدت -آنذاك- القبائل العربية عن أحد أهم معايير الحضارة وهي الكتابة.

والأخيرة، كما دلت الكشوفات الحديثة، امتازها أجدادهم قبل الميلاد، وهو ما تشهد به آلاف النقوش: المسندية بفرعيها: الشمالي (الثمودي، والداداني، والصفائي)، والجنوبي (السبي والمعيني والقتباني والحضرمي والأوساني)، إضافة إلى الأرامية بقسميها: المبكر والدولي، والكتابات النبطية.

وفيما يظهر فإن العامل الذي قاد إلى دخول قبائل العرب هذه الفترة المظلمة هي الظروف الدولية التي بدأت في القرن الثاني الميلادي المتمثل في الصراع الروماني الفارسي، ومن نتائجه السياسية إضعاف الجانب السياسي في شبه الجزيرة العربية، فكان أن سقطت الدول المركزية مثل مملكة الأنباط على يد الرومان، ودفعت الظروف السياسية الدولية وعدم وجود سلطة سياسية مركزية الدارسين والمؤرخين إلى تسمية هذه الفترة بالجاهلية والأمية، جراء بعدهم عن المعايير الحضارية.

وبالتالي فليس صحيحا الجزم بالقول بأن أغلب العرب في فترة الجاهلية كانوا أميين، قراءةً وكتابةً، وكان بعضهم قد استدل بأمية العرب انطلاقاً من مدلول قوله تعالى مخاطباً نبيه: {وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك، إذا لارتاب المبتلون} {العنكبوت: 48}، غير أن المقصود هونفي الله عن نبيه تهمة الكذب والتزوير الذي اتهمه بها الكفار. وحتماً فالمنطق يحتم عدم الأخذ بمفهوم الجاهلية الدال على أمية العرب، إذ من غير المعقول أن ينزل القرآن الكريم المحكم، البليغ المعجز، على قوم لا يعرف جميعهم القراءة ولا الكتابة، وليس لديهم القدرة على فهمه وحمل رسالته؟

أشير إلى أن المؤرخين المسلمين قد عملوا على استخدام هذا المصطلح (الجاهلية) لكي يصفوا على الإسلام سمة التحول الباهر، وليظهروه بحق أنه النور الذي بدد الظلمات، وأخرج الناس منها. والصحيح أيضاً أن جزيرة العرب، التي تدين للإسلام بالفضل فيما أحرزته من مجد، كانت تتهياً في العصر الجاهلي لظهور الإسلام، بل تجمعت فيها المواصفات اللازمة لظهور نهضة حقيقية. مع الإشارة إلى أن لفظة "الجاهلية" قد وردت في القرآن الكريم في أربع آيات، هي:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ (آل عمران: 154).

الثانية: في قوله عز من قائل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: 50).

الثالثة: في قوله جلّت عظمتها: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: 33).

الرابعة: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (الفتح: 26).

## وعليه فلجاهلية أربع خصائص وردت في الآيات السابقة، هي:

• الأولى: "ظن الجاهلية": فراغ في العقيدة، وفقدان الثقة بالله، وجنوح عن الحق، وغيرها من الأدواء. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن أبا طلحة رضي الله عنه، قال: "غَشِينَا النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر، قال أبو طلحة: فكننت فيمن غشيه النعاس يومئذ، فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه، ويسقط وأخذه، والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم، وأخذله للحق، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، أهل شك وريبة في أمر الله". (رواه ابن حبان في صحيحه).

• الثانية: "حكم الجاهلية": الاستبداد والطغيان، والظلم والطيش والتهور، والحكم بغير ما أنزل الله، وبيع الذمم، وشراء الضمائر.

• الثالثة: "تبرج الجاهلية": فالخصائص السابقة جاءت في صيغة الاستنكار، أما الخصيصة الثالثة "تبرج الجاهلية" فجاءت بنهي مباشر، وهنا إشارة واضحة، إلى مكانة النساء ومهمتهن في إصلاح المجتمع، فصلاح النساء هو القاعدة الأولى في بناء المجتمع الصالح، وهو المنطلق الضروري لمكافحة الجاهلية وسد منابعتها وخنقها والقضاء عليها في مهدها.

• الخصيصة الأخيرة: "حمية الجاهلية" (أم الفتن)، التّعرة القبلية، والعصبية، والعنف، والقومية، والتمالؤ على الباطل، وهي فتنة عظيمة، حذر منه رسول الله في الحديث الذي رواه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصْبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصْبِيَّةً فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةٌ" (رواه الإمام مسلم).

وفيما يتعلق بمصطلح "الأمية"، فيحق لنا تسميتها بـ"الأمية المحدودة" وذلك في ضوء اهتمام العرب بالقراءة والكتابة؛ لتدوين شؤونهم الحياتية، من عقود ومواثيق وشعر وأدب وشؤون حياتهم فيما بينهم؛ وهو ما يثبت بأدلة كبيرة من موروث الحجاز، وتؤكدده التجارة ورحلتي الشتاء والصيف، وانتشار الأسواق في شبه جزيرة العرب، والاحتفاء بالمعلقات في جوف الكعبة.

وهكذا فإن استخدام مصطلح "الأمية"، لا يقصد به أمية القراءة والكتابة، الذي عمّمه المستشرقون على عرب ما قبل الإسلام، مستندين في ذلك إلى آراء بعض المؤرخين المسلمين الذين أرادوا أن يصوّروا النقلة النوعية التي أحدثها الإسلام في العرب، ومن ذلك ما أورده ابن خلدون في مقدمته بقوله: "فكان الخطُّ العربيُّ لأول الإسلام غير بالغ من الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط، لمكان العرب من البداوة والتوحّش وبعدهم، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف". فهو يرى أن اهتمام العرب بالقرآن قد جوّد خطّهم لتحسين كتابتهم له (السعيد والمنيف، 1423هـ، ص 63). لكن البعض أدرك أن المقصود ليس عدم معرفتهم بالقراءة والكتابة، بل كما نقل القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "الأميون هم العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب".

وبذلك يتّضح أن الإسلام والقرآن لم ينفيا معرفة العرب للكتابة بوصفهم بالأمية، مع أن القرآن نفى القراءة والكتابة عن النبي صلى الله عليه وآله سلّم، تنزيهاً له، وردّاً لشبهة النقل عن سبقة من اليهود والنصارى.

### أهمية وعراقة الممالك العربية:

وأخيراً تكمن أهمية شبه الجزيرة العربية كما رأى مؤرخو الهجرات القديمة أنها الموطن الأصليّ لكثير من القبائل والشعوب، وتحديدًا تلك التي كانت في بداياتها تحمل الثقافة الصحراوية، مثل: الأكاديين، والأشوريين، والآراميين، والأموريين.. إلخ (ظاظا، 1971م، ص 5-25). فالغالبية منهم يرون أن القبائل الفينيقية قد هاجرت من سواحل الخليج العربي (الذبيب، 2004م، ص 47-51؛ السعيد، 2004م، ص 97).

ولهذا فإن شبه الجزيرة العربية بطبيعتها وبيئتها وتضاريسها خصوصًا منطقة وسطها، كانت الرحم الذي يتكاثر فيه البشر، لكنهم وجدوا تدريجيًا ضيقًا في الحياة؛ مما دفع غالبيتهم إلى الهجرة وشدّ الرحال شمالًا إلى حائل فالجوف، ومنها يحدّدون مسارهم التالي، إما إلى الشمال الشرقي ومنه إلى وادي الرافدين، أو إلى الشمال الغربي ومنه إلى بلاد الشام ومصر. وهكذا كانت الهجرات، وامتزجت الشعوب، وقامت الاتصالات بين الشعوب القديمة في المنطقة.

ولم تكن شبه الجزيرة خصوصًا وسطها رحمةً للقبائل والشعوب العربية القديمة (السامية) فقط، بل كانت مكانًا نجح الإنسان القديم في التعامل مع بيئته فاستوطنه. فأعدت الدراسات الحديثة استيطانه في شبه الجزيرة إلى فترات زمنية موعلة في القدم تصل إلى ملايين السنين

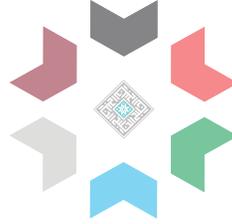
فها هي الشويحية في منطقة الجوف (أدوماتو) تُعد أقدم موقع للاستيطان في المنطقة قبل مليون ونصف سنة، وها هي أيضًا المنشآت المعمارية من مذيلات ومقابر ركامية التي تصل مئات الآلاف في شبه الجزيرة العربية خصوصًا في المملكة العربية السعودية: وسطها وشمالها، وشمالها الغربي، إضافة إلى البحرين وممالكها من نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، وهي الفترة التي كان فيها لشبه الجزيرة العربية تفاعلٌ حضاريٌّ واضحٌ مع شعوب المناطق المجاورة، وبدء المدنية بمفهومها الواسع وبوضوح أكثر مما كان في العصور السابقة لها.

في هذا الإطار انتشرت الممالك في شبه الجزيرة العربية وفق رأي الباحث السعودي عبد الله بن حسن المصري، الذي نحت مصطلح الممالك العربية عام 1977م، وجعلها تبدأ من الألف الأول قبل الميلاد، وأشهر تلك الممالك ما كان في جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها الغربي، حيث ظهرت جنوبًا ممالك سبأ، ومعين، وحضرموت، وقتبان، وأوسان، وحمير؛ وظهر في الشمال الغربي مملكة دادان، ولحيان، وتيما؛ وفي الشمال نجد مملكتي أدوماتو، وقيدار؛ وظهر في وسط شبه الجزيرة مستوطنات كبيرة تحولت أحيانًا إلى ممالك، مثل: مستوطنة البنة، والتي استمرت لفترة تزيد على الألف عام، منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد حتى قبل الإسلام، (الغزي، 1996م، ص ص 13-14). ومستوطنة حزم عقيلة، التي يبلغ طولها كيلاً واحدًا، وعرضها نصف كيل (الغزي، 1996م، ص ص 13-14، 38)؛ علاوة على مملكة كندة وهي الأشهر في وسط الجزيرة العربية؛ وإذا اتجهنا إلى شرقها سنجد الجرهاء ومملكة عمانا وغيرهما من الممالك

## المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. التركي، هند بنت محمد (٢٠١١م)، مملكة قيدار: دراسة في التاريخ السياسي والحضاري خلال الألف الأول ق.م، الرياض: منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية
3. الذيب، سليمان بن عبدالرحمن (٢٠٠٤م)، الأوجاريتيون والفينيقيون: مدخل تاريخي، الرياض: بحوث تاريخية، سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية الحضارية، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار السابع عشر
4. رتو، جان (٢٠١٦)، العرب في العصور القديمة من الآشوريين إلى الأمويين، ترجمة: عبد الله عبد الرحمن العبد الجبار، السيد محمد جاد، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر
5. السعيد، سعيد بن فايز (٢٠٠٤م)، "الجذور التاريخية للهجرات العربية إلى المغرب العربي"، في: كتاب العلاقات بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي، الواقع والمستقبل، الرياض: دار الملك عبد العزيز، ص ص 86-104.
6. علي، العباس سيد (٢٠٠٠م)، حضارة الكتابة، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة
7. "نحو مصطلح أثاري موحد: الجذور التاريخية لإشكالية المصطلح الأثاري: حالة ما قبل التاريخ"، أدوماتو2، ص ص 71-73.
8. الصقلي، ديودوروس (٢٠١٧م)، ديودوروس الصقلي والجزيرة العربية، ترجمة: أحمد غانم، في الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية (5)، إشراف: عبد الله العبد الجبار، الرياض: دار الملك عبد العزيز
9. الصويان، سعد بن عبدالله (١٩٩١م)، "ثقافة العصر الحجري القديم"، العصور، مج6، ج1، ص ص 7-34.
10. ظاظا، حسن (١٩٧١م)، الساميون ولغاتهم: تعريف بالقرباب اللغوية والحضارية للعرب، الإسكندرية: مكتبة الدراسات اللغوية
11. محيسن، سلطان (٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م)، عصور ما قبل التاريخ، دمشق: منشورات جامعة دمشق- كلية الآداب
12. المصري، عبدالله حسن (١٩٧٧م)، "مقدمة عن آثار الاستيطان البشري بالمملكة العربية السعودية" أطلال 1، ص ص 9-20.
13. EphCal (1982), The Ancient Arabs, Nomads on the Borders of the Fertile Crescent 9th-5th Centuries BC, Leiden: The Magnes Press, the Hebrew University, Jerusalem

# مركز الخليج للأبحاث المعرفة للجمعية



[www.ar.grc.net](http://www.ar.grc.net)

## Belgium

Brusseks  
Coming Soon

## England

Gulf Research Center  
Cambridge University of  
Cambridge, Sidgwick  
Avenue, Cambridge  
CB3 9DA, UK  
Tel: +760758-1223-44  
Fax: +335110-1223-44

## Geneva

Gulf Research Center  
Foundation  
Avenue, de France 23  
1202 Geneva switzerland  
Fax: +41227162730  
Email: [info@grc.net](mailto:info@grc.net)

## جدة

30 شارع راية الإتحاد (19)  
ص.ب 2134 جدة 21451  
المملكة العربية السعودية  
هاتف: +966-126511999  
فاكس: +966-126531375  
البريد الإلكتروني: [info@grc.net](mailto:info@grc.net)

## الرياض

مكتب FN11A، البرج الشمالي  
مؤسسة الملك فهد الفرعي، العليا  
هاتف: 2112567 ، +966-11-2031188  
البريد الإلكتروني: [info@grc.net](mailto:info@grc.net)